بسم الله (الدعوة والدعاء من شرع الله لجميع عباده)

١- زارني عربي مسلم أثناء إجازة الصيفية من دراسته في الخارج وعرفت منه أنه يتجنب زيارة أهله لأنهم - وهم انتموا إلى الإسلام - لا يبتعدون عن الحق، فرأيت له زيارتهم والإحسان إليهم والدعاء لهم بالهداية ودعوتهم لما هداه الله إليه من الحق بنصوص الكتاب والسنة، فأظهر يأسه من هدايتهم لأنهم من طائفة خارجة عن السنة والجماعة، تأخذ دينها من إحدى طوائف الضلال في بلاد العجم.

وفارقني مصراً على رأيه وعزمه طالباً مني عرضه وقضيته على الشيخ ابن باز (رحمه الله)، فوعدته خيراً، واستودعت الله دينه وخواتيم عمله.

وثبت على ما ظهر لي من نصوص الوحي وفقه أئمة القرون المفضلة في هذه النصوص، ولو خالف أكثر (أو كل) دعاة الحزبية والفكر اليوم:

١) جميع المرسلين بذلوا الدعوة والدعاء والإحسان لكل من أرسلوا إليهم - بأمر الله - مهما بلغت معاصيهم وشركها (القاسم المشترك بينهم أهل الضلال منذ قوم نوح): عبادة غير الله بدعاء أصحاب القبور (من الأنبياء والصالحين) وتعظيم أضرحتهم ومقاماتهم ومزاراتهم ومشاهدهم، وطلب المدد منهم والذبح والنذر لهم، فما دونه ذلك.

قال الله تعالى: ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ وقال تعالى عن الوالدين: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ وقال تعالى عن الجميع: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ وقال تعالى عن أولي العزم من الرسل ومنهم نبينا ﷺ: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ أي العقوبة (ابن كثير).

ولكن الدعاة المحدثين - بحماسهم وقلة علمهم (وفقدهم) في البيئة يخالفون شريعة الله، فيصرفون الدعوة والدعاء عن مخالفيهم، وكأن النبي ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» متفق عليه.

وعلم الشيخ ابن باز رحمه الله أن أحد دعاة إدارة ترك الخطبة يوم الجمعة خشية أن يؤمر بالدعاء لرئيس ضال، فأمره أن يخطب وأن يدعو للرئيس - قبل أن يؤمر - لعل الله أن يرده إلى الهدى ببركاته له.

٣) أن الدعاة إلى الله من الرسل فمن دونهم مسئولون عن البلاغ لا عن نتائجه فأمرها لله وحده، قال الله تعالى: ﴿فإنما عليك البلاغ﴾، ﴿إنا أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ﴾، ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾.

٢) أنه ليس للرسول أن يدعو على قوم حتى يوحى إليه: ﴿أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾، وقد تاب الله عليهم، وفي رواية لأحمد وغيره أنه نزلت يوم كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يوم أحد فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم عز وجل»؟ فكيف بالدعاة بعد انقطاع الوحي؟ ولكن الدعوة على غير منازع النبوة أنست الدعاة شرع الله فدعوا على أعدائهم ولم يدعوا لهم ولم يدعوهم.

٤) أن العبرة بما يظهر على جوارح العبد من قول أو عمل سواء ورث عنوانه السنة أو البدعة، أما القلوب وما تنطوي عليه من نية أو اعتقاد فأمرها إلى الله وحده، ولا يجوز لعباده منازعته فيها ولا في غيرها، بدليل إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على أسامة قتل من قال: لا إله إلا الله من جملة المشركين في الحديث الصحيح الصريح: «فهلا شققت عن قلبه»؟

ب - واستجابة لطلب الأخ المذكور من جهة، ورغبة في معرفة حقيقة الأمر من جهة أخرى زرت الشيخ ابن باز رحمه الله ووجدته في مكتب بيته مجموعة من الأخوة من الطائفة المعنية، تضم

ما ورد إليه من معلومات عن الطائفة، وما رآه في أمرها:

١) يأخذ أهل المنطقة المنتمية إلى السنة على الطائفة: الجمعية الدينية صلاة الظهر والعصر، والجمع بينهما صلاة المغرب والعشاء، وهو في الظاهر جمع صوري تصح الصلاة به ولكنه مخالف للسنة التي عاشها ومات عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومتبعوا سنته في القديم المفضل، والأفضل الصلاة في أول وقتها إلا لحاجة أو ضرورة.

٢) يأخذون عليهم صيام شهر رمضان كاملاً أبداً (بصرف النظر عن الرؤية) محتجين بقول الله تعالى: ﴿ولتكملوا العدة﴾، وإنما تكمل العدة برؤية هلال شوال أو بصيام يوم الثلاثين إذا تعذرت الرؤية عملاً بأمر النبي صلى الله عليه وسلم واتباعاً لسنته وسنة خلفائه وفقه الأئمة في السنة، وفي هذا السياق تكمل العدة بقضاء ما لم يصم لمرض أو سفر (ابن كثير).

٣) يأخذون عليهم الإصرار على ترك صلاة الجمعة وخطبتها بحجة شرط (المصر الجامع) الذي قال به غيرهم، ولم يرد به نص في الكتاب ولا في السنة وقد قال الله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾.

٤) يأخذون عليهم استقلالهم بمساجد خاصة بهم، وفي هذا المكان ما تقدم خروج عن جماعة المسلمين وولاة أمرهم، وقد قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ وقال تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾ وبخاصة في بلد ودولة ميزهما الله بالوحدة على التوحيد والسنة من أول يوم.

٥) وألهوه مما تقدم: يأخذون عليهم التميز بعدم الجهر بآمين في الصلاة الجهرية وإرسال اليدين بدل قبضهما أثناء القيام في الصلاة، وقد قال بمثل ذلك بعض مقلدي المذاهب من أهل السنة وغيرهم وهو خلاف ما ثبت من السنة.

جـ - استفتى أهل السنة محمد بجمعهم بهذه الطائفة: القبيلة والمنطقة:

هل يجوز لهم معاشرة أهل هذه الطائفة ومؤاكلتهم ومصاهرتهم مع ثبوت المخالفات المذكورة وإضافة إليها: اتهامهم بسب بعض الصحابة سراً، وتتهم الانفراد عند صلاتهم جماعة مع أهل السنة، وفساد معتقدهم الباطني الذي لا يستطيعونه لإظهاره لتميز الدولة بمنع الشرك والبدع؟ فأجابهم الشيخ ابن باز بجواز معاشرتهم وأكل ذبيحتهم ومصاهرتهم والصلاة خلف إمامهم مالم يظهر منهم شرك صريح مثل تأليه أو دعاء مخلوق.

د- واستأذنت الشيخ رحمه الله في زيارتهم وما قد يتبع ذلك من الصلاة معهم ومؤاكلتهم فأذن لي مؤكداً فتواه السابقة؛ فاخترت لي صاحبين من خيرة من عرفت من الدعاة جمعا بين العلم والعمل والخلق: إسماعيل بن عتيق ويوسف الملاحي جزاهما الله خير الجزاء.

هـ- فور وصولنا المنطقة بدأنا بزيارة رئيس المحاكم وأحد كبار موظفي الإمارة لما عرف عنهما من فضل ورغبة في الخير، وحسن معاملة للجميع، وإحاطة بأحوال الطائفة، وكان الاثنان عند حسن الظن بهما، فيسر لنا قبل الاتصال بمختلف الجهات الرسمية ورافقانا في زيارتنا لزعماء الطائفة.

و- زرنا مؤسسات الدعوة المسئولة عن إبلاغ دين الله لجميع عباده: مكتب الدعوة ولجنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لنتعرف وجهة نظر الدعاة المحليين وسابق جهودهم في بيان الحق لأفراد وقادة الطائفة.

ز- وزرنا المؤسسات التعليمية وبخاصة: إدارتي تعليم البنين والبنات، وقابلنا موظفيها من الطائفة صلينا معهم وذكرنا أنفسنا وذكرناهم بشرع الله وآلائه وأيامه، وبينا أن الخلاف الديني لا يمنع من التواصي بالحق والتواصي بالصبر بل يدفع إليه، ولا يمنع من الموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى بل يدفع إليها، وأن بعض الخلاف (في مثل سنة الهيئات) أمره واسع فلا يجوز أن يكون سبباً للفرقة والعداوة بين من ينتمون إلى الإسلام.

ح - وفوه نصيحة رئيس المحاكم كامه رئيس الطائفة الدينية أولاً
مه زرناه منهم ثم زرنا مه كامه حاضراً مه الرؤساء القبيليين
ولقينا مه الجميع حسن الاستقبال والاحترام والإكرام، وكان
ملخص الحديث معهم تأكيد الالتزام بأحكام الاعتقاد وأحكام
الشريعة الأهم فالأهم: الاعتقاد ثم العبادات ثم المعاملات
والالتزام بالفرائض والواجبات، واجتناب كبائر الإثم والفواحش
والتذكير بالاستزادة مه نوافل العبادة والابتعاد عه المكروهات
مع مراعاة شرع الله فيما يتطلبه الالتزام مه عزم وحزم للذرائع
وما يتطلبه التذكير مه يُسر وسعة.

ط - وكنا نكل السرائر للمطلع عليها وحده سبحانه، ونقبل تأكيد
الجميع موافقتهم جماعة المسلمين في الاعتقاد القائم على شهادة
أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وزيادة في التوكيد يلعنون
مه يخالف شرع الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولكنهم يثبتونه
مخالفتهم المنتمية للسنة مه أهلها بالجمع أحياناً بينه الصلاتين، والتقيد
بصوم ثلاثة يوماً، وبترك صلاة الجمعة وما دونه ذلك تقليداً لمذهبهم.

ي - صلينا مع أفراد الطائفة في أحد مساجدهم صلاة المغرب،
ولاحظنا نظافة المسجد وعدم الإسراف في بنائه وتأثيثه، وعدم وضع
شيء على جدرانه مه القرآن أو أسماء الله أو رسوله أو الصالحين
مما ابتدعه المنتمون للسنة والمبتدعة في أكثر بلاد المسلمين، وقد
أذن للصلاة فوق المئذنة دون مكبر للصوت، وكذلك أقيمت
الصلاة بصوت منخفض، ولم نسمع أي زيادة في النداء أو في
الصلاة عه شرع الله، ولا اختلاف في التوقيت، ولم يجمع
العشاء مع المغرب، وكانت الصلاة خفيفة جداً، وبعد التسليم
قام الجميع لصلاة النافلة بما لا يقل عه عشر ركعات (ولعل
ذلك موافقة لما كامه يأخذ به أكثر العباد مه أهل السنة مه حديث ضعيف).
وعدم تبليغ الإقامة والصلاة خارج المسجد أقرب للشرع والقصد

ولكنه مخالف للطائفة يظنون أنه السبب: إخفاء الإضافات المبتدعة على الأذان والإقامة التي لا تجيز الدولة السنية إظهارها والله أعلم.

ك - ورأينا على سفر فقد صلى بعضنا معهم يوم الجمعة صلاة الظهر في المسجد الجامع، ويفد إليه المصلون من القرى والبوادي والمزارع من أول الضحى، ويشتغل بعضهم بالتلاوة والنوافل في المسجد وبعضهم بتبادل الأحاديث خارجه حتى يؤذن للصلاة بعد الزوال وبعد صلاة الفريضة أربع ركعات بلا خطبة وصلاة النافلة يعودون لما كانوا فيه من قبل حتى يؤذن لصلاة العصر.

وكانوا مثل المبتدعة في بلاد العجم - يسجدون سجدة واحدة بعد التسليم من كل نافلة يسمونها بعضهم: (سجدة الدعاء)، وكل السجود للدعاء «فأكثروا فيه من الدعاء فقمين أن يستجاب لكم».

ل - من كل ما سمعناه منهم ومنهم، ومن كل ما تعلمناه أثناء وجودنا بينهم؛ يتأكد لنا أنهم طائفة خارجة عن السنة والجماعة، ولكنهم:

١) أكثرهم - في هذا العصر - يجهلون أنهم على ضلال، ويحسبون أنهم على الهدى، وقد تنحصر معرفة ما هم عليه في رؤسائهم ومن يحيط بهم.

٢) يخفون من الضلال أكثر مما يظهرون، لأن الدولة التي تحالفهم لا تجيز مظاهر الشرك والابتداع الظاهرة في أكثر بلاد المسلمين من أوثان الأضرحة والمقامات والمزارات والمشاهد، وزوايا وحضرات التصوف وموالد الغلو، وغير ذلك من الخرافات والإضافات على التدين.

٣) يجمعهم التعصب الطائفي والقبلي على مذهبهم الباطني دون إحاطة بنأي وبلاية الضالة ولا معرفة بانحراف عن منهاج النبوة، ويغذيه التقليد الجاهل الذي كان من أقدم أسباب الضلال: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ ولا يزال كذلك.

٤) يشارك العلماء وطلاب العلم الدعاة إلى الله من أهل السنة في إثم بقاء هذه الطائفة على ضلالها باجتنابهم دعوتهم والدعاء لهم بالهداية، وهذه مخالفة عامة لشريعة الله ومنهاج النبوة كما تقدم

يقنوط الأئمة في دعاء القنوت والخطباء في خطبهم يوم الجمعة فهم يخصّون أهل السنّة بالدّعاء (بالنّصر لا بالهداية وهي طريق) ويخصّون أهل الفرق والملل الأخرى بالدّعاء عليهم بما لا يخلو من الاعتداء الذي نهى الدّين عنه، وكأنّما يتمنّون لهم دوام الضّلال وهي أمنية إبليس لذرّية آدم، أعاذ الله الجميع من شرّ الشيطان وشركه.

م- وذكّرنا الجميع بالدّعاء لهم أن يجزيهم الله عنّا بهدايته وتوفيقه وأن يديم الله على صراطه المستقيم ويثبّتهم عليه، وقدّمنا للشيخ ابن باز رحمه الله تقريراً تضمّن:

١) كلّ ما شرحناه أثناء زيارتنا من قول وعمل.

٢) أنه على الدّعاة الحكوميّة والمتطوّعية التنبّه إلى خطأ قصر الدّعوة على طائفة من المنتمية إلى الإسلام أو غيره دون غيرها؛ فالله أرسل رسوله (قدوة الدّعاة) إلى الناس جميعاً، قال الله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافّة للنّاس بشيراً ونذيراً﴾ فجميع البشر منذ بُعث حتى قيام السّاعة أمّته التي أُرسل يدعوها إلى الإسلام.

٣) تألّف هذه الطائفة بالمعاملة بالحسنى والتّعاون على الخير والصّلاة في مساجدهم (ما لم يظهر منهم شرك بواحٍ مثل المنتمية إلى السنّة) والتذكير فيها بالحكمة والموعظة الحسنة وبيان أحكام الاعتقاد والعبادات والمعاملات بأدلّتها من الكتاب والسّنّة بفهم فقهاء الأمة في القرون المفضلة.

٤) تكاتف الدّعاة من المتطوّعية ودعاة الدّولة من وزارة الشؤون الإسلاميّة ورئاسة الهيئات وغيرهم بإشراف الإمارة أو رئاسة المحاكم لجبر النّقص في الدّعوة والدّعاة وسدّ ثغرات التفرّق في الدّين وكلّ حزب بما لديهم فرحون.

هدى الله الجميع وشرح صدورهم للدّين الحق، وصلى الله وسلّم وبارك على محمد عبد الله ورسوله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بسنّته إلى يوم الدّين.